القراءات و المنهج في الفكر الغربي المعاصر

■ د . حميدة محمد حسين
كلية الآداب / جامعة سبها

القدمة

وجد عدد من القراءات في الفكر الغربي المعاصر ، نذكر منها القراءات البنيوية التي أتت كرد فعل ضد الدراسات التاريخية في صورتها (الهيجلية والماركسية) والقراءة السيميولوجية ، التي تنطلق من مبدأ أن ليس للدال معنى واحد محدد بل الكثير من المعاني والمدلولات ، وهي إحدى القراءات التي حولت القارئ إلى منتج حقيقي للنص ، وأدى هذا إلى إعلان موت المؤلف ، وهي تمارس في مجال الدراسات الأدبية ، والقراءة التفكيكية التي أعلنت هي الأخرى من سلطة القارئ على حساب سلطة النص ، ونظرية التأويل والتلقي ، هذه النظرية التي لم تهمل أيا من الإطراف الثلاثة المشكلة للنص ، هذه الدراسة محاولة لتقديم دراسة تحليلية للمناهج والقراءات المعاصرة التي استخدمها بعض المفكرين العرب في قراءة التراث العربي الإسلامي وكيف استفادوا منها واستثمروها في قراءة تراثهم العربي الإسلامي ؟ وكيف عملوا على غرسها وتبيئتها في الفكر العربي المعاصر ؟ وما هي القراءة ؟ وهل هناك قراءة واحدة للنص فقط أم تعددت القراءات ؟ وما مستويات القراءة ؟ وما الفرق بين القراءة والمنهج ؟

تعريف القراءة لغة واصطلاحًا .

أولاً : تعريف القراءة :

إن طرح سؤال مثل : ما القراءة ؟ يبدو غريبًا ، لأن كثيرًا من الناس لديهم أفكار غير صحيحة عن القراءة . والإجابة عليه تكمن في الوقوف على مراحل تطور هذا المفهوم، بداية:

أ – تعريف القراءة في اللغة العربية .

القراءة في اللغة العربية (قرأه : القرآن : التنزيل العزيز ، وإنما قُدِّم على ما هو أبسطُ منه لشرفه قَرَأَهُ يَقْرَؤُهُ ويَقْرُؤُهُ .... وتكرر في الحديث ذكر القراءة و الإقرَاءِ والقارئ والقرآن والأصل في هذه اللفظة الجمع، وكل شيئ جمعته فقد قرَأته) [1] يتضح من النص أن القراءة في

اللغة العربية ارتبطت بقراءة القرآن الكريم وتلاوته وجمعه ، وقارئ القرآن الكريم ليس بالضرورة أن يكون مفسرًا لمعانيه ومتفقهًا فيما ورد فيه من أحكام ، كما ارتبط لفظ القراءة بالجمع ؛ أي بجمع سور القرآن الكريم وضم بعضها ببعض من أجل قراءتها .

والقراءة على أنواع عديدة أهمها :

1 - **القراءة الخاطفة أو السريعة**: وهي من المهارات الضرورية للإنسان المعاصر لمواجهة طوفان المعلومات التي أصبحت تحاصره في كل مكان وهي مهارة أكثر من ضرورية للعاملين في حقول الاتصال بالجماهير ، للوقوف على سيل المعلومات المتدفق والاستفادة منه لتطوير آرائنا في التخصصات المختلفة . والقراءة السريعة أسلوب نلجأ إليه كثيرًا فنحن لا نستطيع قراءة كل ما تخرجه المطابع يوميًا من صحف ومجلات وكتب ، كما لا نستطيع إهمال كل ما تقدمه تماما . وكذلك عندما نقرأ الكتب والمجلات والتقارير بسرعة فنحن نتصفحها ، نمر على صفحات الكتاب أو التقرير الذي نقرؤه مرورًا سريعًا ، نركز في البداية أعيننا على منتصف الصفحة وننتقل بأعيننا سريعًا عبر سطورها من أعلى إلى أسفل وقد نركز على بعض الفقرات ، ونتجاهل صفحات ، وربما فصولا ، لاتهمنا ولا تتصل بموضوع دراستنا ، وقد نقفز عبر الصفحات لنقرأ الملخص في نهاية الفصل إذا كان هناك ملخصًا . وفي كثير من الأحيان تفيد قراءة صفحة فهرس الموضوعات في التعرف على الموضوعات التي يعالجها الكتاب ومدى اتصالها بحاجاتنا من القراءة .[2]

2 - **القراءة التحصيلية** . هذا النوع من القراءة يرتبط بمطالب المهنة التي ننتمي إليها، وبحياتنا المدنية ، ويُعتبر ذلك من وجوه نشاطنا اليومي ، وهي قراءة لإشباع احتياجاتنا إلى معلومات معينة ، فالقراءة التحصيلية قراءة انتقائية ، وهي قراءة للبحث والدرس ، نبحث في موضوع معين يتصل بجوانب حياتنا المختلفة ، ونبحث عن المعلومات المتصلة به في الكتب والدوريات ، ودوائر المعارف ، والقواميس ، والمراجع العلمية المختلفة . وهذه القراءة تتسم بالترتيب والأناة مما يساعد على تثبيت الحقائق في الأذهان ، وعلى تفهم المادة المقروءة ، والتفكير المستمر فيما نقرأ ، وذلك لاستيعاب المعلومات ، واتخاذ القرارات المناسبة ، أو لبناء اتجاهاتنا وتكوين آرائنا تجاه ما يواجهنا من قضايا ومواقف ومشكلات.[3]

3 - **القراءة النقدية** : وهي نوع من القراءة المتأنية ، لأنها تعتمد على التفاعل الفكري الناقد بين القارئ والمادة المقروءة وهي لذلك تحتاج إلى ما تقوم عليه عملية النقد من تفهم للأفكار ، ووزنها بميزان المنطق ، وتقويمها والحكم عليها . وأثناء هذه قد ندون في قصاصات أو مذكرات ملاحظاتنا النقدية على ما نقرأ ، ونقيم ما نقرأ ونبحث في مدى موضوعيته أو تحيزه ، ومدى اتصاله بما نود معرفته ، ومدى أهمية ما يقدم لنا من معلومات وأفكار وآراء وما قد تتضمنه من تناقضات ، وكثيرًا ما تكشف هذه القراءة النقدية فجوات أو

جوانب قصور فيما يتعرض له المؤلف ، أو تستثير في نفوسنا أسئلة تدفعنا للبحث والدراسة للإجابة عليها ، أو لسد الفجوات فيما كشفت عنه في إطار معرفتنا .

وهذا التحديد لأنواع القراءة ليس ثابتا ، فنحن نتراوح في استخدام هذه الأنواع كلها على مدى اليوم الواحد ، إن المادة نفسها التي نقرؤها للتصفح ، فقد نقرؤها هي نفسها قراءة تحصيلية أو نقدية ، عندما تدخل إلى محيط اهتمامنا ، وتتعلق بمشكلة أو قضية تستجلي جوانبها لتغيير الظروف المحيطة بنا . [4]

نستخلص من عرضنا السابق تعدد معاني القراءة وتباينها من لغة لأخرى ، ففي اللغة العربية كانت القراءة مرتبطة بقراءة القرآن الكريم وجمعه ، وفي اللغتين الإنجليزية والفرنسية ارتبط مصطلح القراءة بإدراك كل ما هو مكتوب على السطور وفهمه ، كما تعتمد القراءة في اللغة الفرنسية على فاعلية القارئ في عملية ربط الأفكار واستخراج المعاني . كذلك تباينت تعريفات القراءة من مؤلف لآخر ، فالقراءة مثلاً عند (**إديث كرزويل**) هي قدرة القارئ على فك شفرات النص ، وعند (**تودوروف**) تعني إنتاج نص جديد يختلف عن النص الأصلي ، أما عند (**الوي التوسير**) فهي إعادة تشخيص النص، وكشف عن اللامفكر فيه ، و إعادة بنائه وفي هذا الخضم يبرز سؤالٌ يطرح نفسه ألا وهو : **ما الفرق** بين القراءة والمنهج ؟ وللإجابة عنه نقول : القراءة أوسع من المنهج ، إذ تشمل القراءة أحيانًا منهجًا وتوظف أحيانًا أخرى أكثر من منهج ، كما لا تشتمل على خطوات معينة محددة مثل المنهج الاستقرائي ، فالمنهج هو :((**طريق نصل من خلالها وبها إلى نتيجة معينة ، حتى وإن كانت هذه الطريق لم تتحدَّد من قبل تحديدًا إراديًا**) [5] يتكون المنهج في الغالب من خطوات مرتبة متسلسلة يتَّبعها الباحث ، للوصول إلى النتيجة المطلوبة خاصة في العلوم التجريبية ، وهذا الطريق أحيانًا لا يكون محدد الخطوات قبل الدخول في الموضوع المراد بحثه في العلوم الإنسانية ، لأن الموضوع يلعب دورًا كبيرًا في تحديد الطريق أو المنهج الذي يسير عليه الباحث في بحثه ، خاصة في ميدان الفلسفة ، وأحيانا يستخدم الباحث أكثر من منهج في دراسة موضوعه إذ يساعده كل منهج في كشف جانب من جوانب الموضوع .

ب – تعريف القراءة في اللغة الإنجليزية :

تطور هذا المفهوم عما كان عليه قديمًا ، فالأبحاث التي أجريت على القراءة في النصف الأول من القرن العشرين كانت تتناول النواحي الفسيولوجية مثل حركة العين و أعضاء النطق وما إليها . على أساس أن القراءة مجرد استجابات فسيولوجية لما هو مكتوب ، ففي اللغة الإنجليزية يرتكز **مصطلح القراءة على** : ((**تحريك النظر على رموز الكتابة منطوقة بصوتٍ عالٍ أو من غير صوت ، مع إدراك العقل للمعاني التي ترمز إليها**

في الحالتين) [6] يشير النص على أن الشرط الأساسي للقراءة في اللغة الإنجليزية هو فهم وإدراك ما هو مكتوب على السطور ، سواء كانت القراءة بصوت مرتفع أو قراءة صامتة .

ج - تعريف القراءة في اللغة الفرنسية :

جاء النصف الثاني من القرن العشرين ، وبدأت الأبحاث العلمية تتناول القراءة وانتقل بفضلها مفهوم القراءة من دائرة الإدراك البصري للرموز والنطق بها إلى ترجمة هذه الرموز إلى مدلولاتها من الأفكار ، فعُرفت القراءة في إحدى دوائر المعارف الفرنسية بأنها : (**فعل للذي يقرأ وبطريقة الاشتقاق فهي النص الذي سنقرؤه ... وفعل القراءة يكون في ربط المعاني بأشكال خطية أو علامات (إشارة) التي هي رمز للكلام ... فالقراءة تفترض كتابة ما ، أو مجموعة إشارات اصطلاحية**)[7] تعتمد القراءة في اللغة الفرنسية على فاعلية القارئ في عملية ربط الأفكار واستخراج المعاني .

تعريف القراءة اصطلاحا :

أ - مفهوم القراءة في الفكر الغربي:

تطور هذا المفهوم ليشمل ضرورة تفاعل القارئ مع النص المقروء ونقده وذلك ليتمكن من الحكم على ما يقرؤه القارئ وتوظيفه على شكل خبرات لمواجهة المشكلات اليومية للحياة ، وعلى هذا فالقراءة كما انتهى إلى ذلك كثير من الباحثين هي ((**أسلوب من أساليب النشاط الفكري في حل المشكلات يبدأ بإحساس الإنسان بمشكلة ما ، ثم يأخذ في القراءة لحل هذه المشكلة . ويقوم في أثناء ذلك بجمع الاستجابات التي يتطلبها حل المشكلة من تفكير وانفعال**)[8] فالتعريف الاصطلاحي للقراءة يختلف من مفكر لآخر ، حسب المنطلقات الفكرية ومجال التخصص والغرض الذي يسعى إلى تحقيقه ، ومجموع الآليات والمفاهيم التي يوظفها في قراءته ، فـ(**إديث كرزويل**) ترى أن القراءة : (**عملية تفاعل بين أنظمة لا واعية تنطوي على قدرة القارئ من ناحية ، و(لغة) النص من ناحية ثانية ومحور الالتقاء الذي تقوم عليه هذه العملية مرتبط بالأنساق (الشفرية)**[9] **التي تصل ما بين النص وقارئه والتي تتجاوز النص وقارئه في الوقت نفسه**))[10] فالقراءة عند (**إديث كرزويل**) تعتمد على قدرة القارئ على فك شفرات النص ، ولغته وهي عملية تفاعل يقوم بها القارئ بواسطة مجموعة من المفاهيم والآليات والأفكار .

يُعرف (**تودوروف**)[11] القراءة بأنها ((**فعالية تختلف في أن موضوعها النص المفرد ، وهدفها أن يعرى نسق ذلك النص ، فهي عمليًا لا تهتم بوظيفة الوصف والتفسير وإنما بإعادة بناء النص**)[12] لا تعيـر القراءة عند (**تودوروف**) اهتمامًا للوصف الخارجي والتفسير، وإنمـا مجالها (**التأويل**) [13] وإعادة بناء النص بعد تشريحه ، بطريقة تختلف عن بنائه السابق وذلك بإعطائه مدلولات جديدة ، والقراءة عند (تودوروف). **تنقسم إلى ثلاثة أنواع:**

أولاً : القراءة الإسقاطية . وهي : ((**نوع من القراءة عتيق وتقليدي ، لا تركز على النص ولكنها تمر من خلاله ومن فوقه متجهة نحو المؤلف أو المجتمع وتعامل النص كأنه وثيقة لإثبات قضية شخصية أو اجتماعية أو تاريخية والقارئ فيها يلعب دور المدعي العام الذي يحاول إثبات التهمة**))[14] في هذا النوع من القراءة لا يضيف القارئ لمقرئه جديدًا ، وإنما يقدم قراءة شبيهة أو قريبة من النص الأصلي ، فهي لا تخالفه و إنما تقوم بإثبات قضايا معينة تدعمه ، معتمدة على الظروف المحيطة بحياة المؤلف في جوانبها المختلفة النفسية و الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

ثانيًا : القراءة تعليق . وهذه القراءة تقف على المعاني السطحية للنص : ((**قراءة تلتزم بالنص ولكنها تأخذ منه ظاهر معناه فقط ، وتعطي المعنى الظاهري حصانة يرتفع بها فوق الكلمات ، لذا فإن شرح النص فيها يكون بوضع كلمات بديلة لنفس المعاني ، أو تكون تكرارًا ساذجًا يجتر نفس الكلمات**))[15] لا يتعدى هذا النوع من القراءة كونه اجترارًا للنص المقروء ، فهي قراءة من أجل التفسير ، وإعادة للأفكار المطروحة في النص المقروء، حيث يكتفي قارئ النص برصد هذه المعاني مباشرة للكلمات و المفاهيم والعمل على تفسيرها ، وشرحها بما يخدم النص الأصلي ويتفق معه .

ثالثًا : القراءة الشاعرية : اهتمتا القراءتان السابقتان بظاهر النص ، غير أن القراءة الشاعرية هي : ((**قراءة النص من خلال شفرته ، بناء على معطيات سياقه** 16 **الفني ... ولذلك فإن القراءة الشاعرية تسعى إلى كشف ما هو في باطن النص وتقرأ فيه أبعد مما هو في لفظه الحاضر**))[17] هذه القراءة لا تكتفي بظاهر النص وترفض التفسير الذي يضع معاني محددة للألفاظ والمصطلحات، وليس للفظ معنى محدد ، و إنما يأخذ اللفظ معناه من السياق الذي يرد فيه ، إذن من الممكن أن يكون للفظ الواحد مدلولات لا تحصى حسب السياق الذي تنتمي إليه.

يتباين مفهوم القراءة في الاصطلاح الفلسفي عن معناه في الاصطلاح اللغوي ، ف(**الوي التوسير**)[18] يعرف القراءة التشخيصية بأنها عبارة عن :- ((**إعادة فهم النص في سياقات غير معلنة ، ناتجها اكتشاف لمدلولات ومواقف إضافية أو أصلية مسكوت عنها**))[19] يتبين من النص أن القراءة التشخيصية قائمة على كشف ما هو مخفي ، والبحث في المسكوت عنه واللامفكر فيه بين السطور .

ب – مفهوم القراءة في الفكر العربي :

برزت بعض التعريفات لمفهوم القراءة لدى كُتاب عرب ، وذلك نتيجة للتفاعل الحضاري بين الفكرين العربي والغربي ، ومن هذه التعريفات تعريف (حسن حنفي) للقراءة التي تعني

(البداية بنقطة التقاء بين الباحث والموضوع ، اتفاقا أو اختلافا ، في مسؤولية مشتركة بهدف إكمال الموضوع أو إعادة بنائه من عصر إلى عصر وإعادة تركيبه من مستوى إلى مستوى وإعادة البرهنة عليه من النقل إلى الواقع ، ومن النص إلى التجربة . ولما تعددت القراءات طبقا لتعدد العصور واختلافها فان كل قراءة تأويل)[20] يتضح من قول (حسن حنفي) أن النص ليس جثة هامدة أو أثرا ميتًا ، بل هو حامل لمجموعة من التجارب تتكرر في عصر ، ويتحمل مسؤوليتها الجميع . أما (سيزا قاسم) فتُعرف القراءة بأنها : (**خبرة محددة في إدراك شيء ملموس في العالم الخارجي ومحاولة التعرف على مكوناته وفهم هذه المكونات ، ووظيفتها ومعناها)** [21] تقتصر قراءة (سيزا قاسم) على النص المكتوب ، والتنقيب عن مكوناته ، هدفها من وراء ذلك تحديد وظيفة القراءة ومعناها ، و تمر القراءة عندها **بأربعة مستويات** : الإدراك ، والتعرف ، فالفهم ثم التفسير. **والإدراك** هو مستوى حسي يعتمد على الحواس ، **أما التعرف** فينطوي على عملية ذهنية تسكنه الطبيعة (السيميوطيقية) [22]، **والفهم** عند (سيزا قاسم) يعني محاولة فك شفرة العلامات وقد تتوقف القراءة حسب اعتقادها عند هذا المستوى ، ولكن في أحيان أخرى تكون هذه الدلالة مبتورة ، أو مغلوطة ، وعندئذٍ لابد من محاولة معرفة ما إذا كانت هذه الدلالة تنطوي على مستوى أعمق يحتاج إلى عملية تفسير ، ولذا فهي ترى أن ضرورة البحث عن شفرة جديدة تكمل الأولى وتوصل إلى المعنى الثاني أو معنى المعنى .

يشترط (عبدالله الغذّامي) لإتمام عملية القراءة الدخول في سياق النص ؛ أي تحديد ميدانه ، وربطه بالنصوص التي تنتمي إلى نفس المجال أو السياق الذي تغذيه بشكل مباشر عن طرق التضمين الناتج عن تداخل النصوص ؛ لأن النص عبارة عن تعلق نصوص أو فسيفساء من نصوص أخرى . فالقراءة : ((**عملية دخول إلى السياق وهي محاولة تصنيف النص في سياق يشمله مع أمثاله من النصوص التي تمثل أفقية فسيحة للنص المقروء تمتد من حوله ومن قبله وتفتح له طريقًا إلى المستقبل**))[23].

تعتمد القراءة عند (حسن سحلول) على خبرات القارئ و المفاهيم والآليات التي يوظفها في عملية القراءة ، فهي عنده فاعلة لا تتقيد بالنص الأصلي بل تنتج نصًا مختلفًا ، ولها اتجاهات عدة يحددها في خمسة اتجاهات هي **كالآتي** :

● **الاتجاه الأول** : القراءة نشاط عصبي فيزيائي فـ:((القراءة هي قبل كل شيء فعل محسوس ومادي يمكن ملاحظته ، وتشترك فيه ملكات محددة في الكائن البشري ، فالقراءة تتعذر مثلاً إن غاب الجهاز البصري ، أو بعض أقسام الدماغ ، فالقراءة إذن وقبل أن تكون تحليلاً لمضمون ، هي عملية إدراك حسي وتميز لعلامات الخط ثم تذكرها))[24] القراءة عند (حسن سحلول) إدراك بالبصر لما هو مكتوب على السطور ، وتميز للعلامات، ثم تليها عملية تحليل المعاني وتحديد الأفكار .

● **الاتجاه الثاني** : القراءة نشاط معرفي . فبعد أن تتم عملية الإدراك بالبصر وتحليل القارئ للأفكار ، وتحديد معانيها الظاهرة ، يمارس القارئ نوعًا من التجريد ليصل إلى المعاني المجردة ، والمفاهيم الكلية في النص المقروء و ((بعد أن أدرك الرموز وأول علامات الخط يحاول القارئ أن يفهم ما يقرأ ، و أن يحول الكلمات أو (رزم) الكلمات إلى عناصر ذات معنى ، وهذا يفترض جهدًا كبيرًا في التجريد))[25].

● **الاتجاه الثالث** : القراءة نشاط انفعالي . لا يقتصر تأثير النص على القارئ فكريًا فحسب و إنما يشمل الجانب العاطفي ، حيث يلامس مشاعر ، ويوقظ عواطف كامنة في اللاشعور عند الإنسان ، قد ((تكمن جاذبية القراءة إلى درجة كبيرة في الأحاسيس التي تثيرها فينا ، فإن كان تلقي النص يعبئ عند قارئه ملكاته الفكرية ، فإنه يهيّج كذلك وربما إلى حد أعلى عاطفته))[26] فالقراءة التي تثير مشاعر القارئ ، وتحرك عاطفته، تتجه إلى تكوين عشق متبادل بين النص وقارئه ، أثناء تحليل النص ويصدق ذلك في مجالي الأدب والشعر .

● **الاتجاه الرابع** : القراءة نشاط دلائلي . إن القراءة تمارس على النص المكتوب ، وهذا النص عمل يعبر عن رؤية المؤلف للكون أو العالم الخارجي ، يحاور من خلالها القارئ الذي يفترضه أثناء عملية الكتابة ، ويرسل إليه شفرات ودلالات معينة يقوم القارئ بتحليلها و تأويلها : ((وبما أن النص هو نتيجة إرادة خلاقة واعية ، ومجموعة من عناصر منظمة ، فإن من الممكن أن نحلله على أنه

(خطاب)[27] ، أي على أنه موقف يتخذه الكاتب من الكون ومن الكائنات حتى حين يستخدم ضمير الغائب في كتابته))[28] ويلاحظ (حسن سحلول) أن هناك تشابهًا بين الخطاب و الكتابة إذ كلاهما يتطلب مرسلاً وهو المؤلف ومتلقيًا وهو القارئ ، ورسالة تكون شفوية في الخطاب ، مكتوبة في النص .

● **الاتجاه الخامس** : القراءة نشاط رمزي . القارئ عند (حسن سحلول) يعمل على تفسير وفهم مقروئه ، فهو يتأثر بالوسط الثقافي والاجتماعي والسياسي ، الذي يعيش فيه ويعكس في الوقت نفسه خبراته المنهجية ، وتراكم المعلومات لديه أثناء عملية القراءة، وهذه العوامل تشارك في إنتاج النص ، إن ((**المعنى الذي يخلص إليه القارئ من قراءته... يتخذ مكانه مباشرة من الوسط الثقافي الذي يعيش فيه الشخص القارئ ، وكل قراءة تنفعل وتفعل في وسط عصرها وثقافته وبنى تصوره السائدة**))[29].

● **نماذج من القراءات الغربية المعاصرة :**

يُعد القرن العشرين قرن المناهج والقراءات في العلوم الإنسانية ، ومن أهم المناهج التي ظهرت فيه الظاهراتية أو المنهج Phenomenology [30] والمنهج

الحفري أو [31] Archeology ومنهج تحليل الخطاب [32] أوAnalysis of discours وتحليل المضمون أو [33]Analysis of content فالنص لا يُبعث للحياة ويظهر للعيان إلا عندما يستقل عن كاتبه ويصبح ملكًا للقارئ ؛ أي يكون نقطة لإنتاج نصوص جديدة ، وأحيانًا مغايرة له انطلاقًا من بنيته وعناصره ، كما زخر هذا القرن بعدد من القراءات ، نذكر منها :

● **القراءة البنيوية :**

ظهرت القراءة البنيوية في العقد الثاني من القرن العشرين ، و رفضت المناهج [34] السابقة عليها ، واتهمتها بأنها واقعة في شرك الشرح والتعليل أثناء تفسيرها للنصوص، وهي تعني: (**مجموعة تحويلات تحتوي على قوانين كمجموعة (تفاعل خصائص العناصر) تبقى أو تغتني بلعبة التحويلات نفسها ، دون أن تتغذى حدودها أو أن تستعين بعناصر خارجية ... تتألف البنية من ميزات ثلاث . الجملة ، والتحويلات ،والضبط الذاتي**)[35] إن النص في القراءة البنيوية بناء منغلق على ذاته ، لا يمت للعالم بأية صلة ، وهذا البناء المنغلق الذي ينظر إليه القارئ يتكون من مجموعة من الوحدات ، و أي تحول وتغير يحدث لوحدة منها يؤثر على باقي الوحدات ، وتتميز البنية بالكلية ، والتحول وفق قانونها الداخلي ، الذي يضبط حركة وتغير الوحدات فيها .

طُبقت القـــــراءة البنيوية في العديـــــد من المجالات ، حيث طبقــها (كلود ليفي شتراوس)[36] في الانتربولوجيا ، واستبدل مبدأ التفسير السببي القائم على مفهوم التعاقــب بمبدأ التفسير البنائي القائم على مفهوم النسق أو النظام وما يميز ابستومولوجيته هو أنها تبحث فيما وراء العلاقات العينية ؛ أي عن البنية التحتية اللاشعورية ، التي لا يمكن الوصول إليها إلا بفضل عملية بناء استنباطي لبعض النماذج المجردة ، وحسبنا : (أن نبلغ البنية اللاشعورية الكامنة وراء كل نظام اجتماعي ، وكل عادة اجتماعية ، لكي نحصل على مبدأ للتفسير ، يكون صحيحا بالنسبة إلى نظم وعادات اجتماعية أخرى ، شريطة أن نمضي في البحث .. إلى الدرجة التي تحقق للتحليـل العلمي أقصى مدى ممكن)[37] إن البنية عند (كلود ليفي شتراوس) لا تُفهم إلا من خلال بلوغنا البنية اللاشعورية المختبئة وراء أي نظام اجتماعي ، وبالبحث والتحليل العلمي الدقيق نستطيع أن نصل إلى وحدات تلك البنية التي تعمل بشكل خفي ، إنها تمثل (ابستيم)[38] يساعدنا على تفسير الكثير من النظم السائدة في مجتمع معين .

إن عرضنا لتعريف البنيوية و طريقتها في قراءة النص ، لا يمنع من الكشف عن بعض الثغرات التي وقعت فيها ، إذ أهملت جميع العوامل المؤثرة في النص ، وركزت عليه باعتباره نصًا مغلقًا ، كما أعلت من سلطة القارئ على حساب المؤلف مما دفع (لوسيان غولدمان) إلى تبنيه (البنيوية التوليديه) التي تحاول أن تحلل البنية الداخلية لنص من

النصوص ، رابطة إياه بحركة التاريخ الاجتماعي الذي ظهر فيه ذلك النص ، وهي تطويرٌ للقراءة البنيوية في تلافيها لنقطة الضعف السابق ذكرها ، ويبرز هذا التغير في نظرية (رؤية العالم) حيث يحدد (لوسيان غولدمان) هذا المصطلح في أنه تصور مؤلف معين عن الإنسان وعن الطبيعة والوجود ، ويعبر عنه في أعماله ، سواء أكان مفكرًا أم أديبًا أم شاعرًا أم فيلسوفًا ، تبعًا لشروط شخصية و اجتماعية ، عرفها تاريخ أمة من الأمم ، وتُعد رؤية العالِم وعيًا جماعيًا عبرت عنه هذه العبقرية في شكل من الأشكال الفكرية أو الأدبية، فرؤية العالِم هي عبارة عن : ((نسق متلاحم يضع المشكلات مقابل حلولها ، فتصبح (رؤية العالِم) والأمر كذلك ، بنية شاملة ، تهدف بنسقها المتلاحم إلى تطوير الموقف الذي تعانيه الطبقة أو المجموعة ، تمامًا كما ينبع نسقها المتلاحم من الرغبة في تطويع الموقف)) 39 وأي مفكر يعيش ويندمج في مشاكل عصره ، و يجيب عن الأسئلة التي تطرح فيه ، متخذًا مواقف معينة من القضايا التي تشغله ، معبرًا عن رؤية طبقة معينة بأساليب وطرق متباينة، تقترب لتعبر أحيانًا عن تصور كلي للعالم ، يكون قد اكتسى فكر ذلك الكاتب أو أدبه بصبغة الإنتاج الإنساني ، ولكي يحقق ذلك لابد من التلاحم بين أجزاء التصور الكلي .

استفاد (ميشيل فوكو) [40] أيضًا من القراءة البنيوية في دراسته وتحليله للثقافة الغربية ، في الكشف عن الجوانب المنهجية ، وتأسيس حقب ابستمولوجية للمعرفة في الفكر الأوروبي واكتشاف (الأبستيم) الخاص بكل حقبة معرفية فيه .

يطلق (ميشيل فوكو) على منهجه المنهج (الأركيولوجي) أو الحفري الذي يرتبط بالحفر عن الوحدات المعرفية الفاعلة أو الأبنية الكامنة وراء الممارسات الخطابية والمتحكمة فيها ، و قد استخدم هذا المنهج في دراسة وتحليل تاريخ الأفكار وتطويرها في بعض العلوم ، وأنواع الرقابة التي يخضع لها كل علم ، لأن لكل علم من العلوم مفاهيمه ومنهجه وسياقه الخاص ، وكل علم يخضع لنوع من الرقابة ، بالإضافة إلى الرقابة الذاتية التي يمارسها الكاتب على نفسه ، والرقابة من قبل الدولة والمجتمع إن (إنتاج الخطاب داخل كل مجتمع مراقب ومنتقى ومنظم يُعاد توزيعه بموجب إجراءات لها دور في إبعاد سلطاته ومخاطره والسيطرة على حادثه الاحتمالي وإسقاط ما فيه من مادية مرعبة وثقيلة))[41] .

وادخل (الوي التوسير) القراءة البنيوية في ميدان الفلسفة ، في دراسة فكر(ماركس) وقد استعان (الوي التوسير) في قراءته بمفهومين ، الأول استمده من (غاستون باشلار)42 الذي يرى : (أن الأحداث والفتوح المعرفية خلال تطور أي علم توقف التراكم المستمر للمعرفة ، وتقطع تقدمها البطئ وتدفعها إلى دخول عصر جديد ، وتفصلها عن أصلها التجريبي ودوافعها الأصلية ، وتعقداتها الخيالية فتحول التحليل التاريخي من البحث عن البدايات الصامتة إلى البحث عن نمط جديد من العقلانية وعن آثارها المتنوعة))43

يتضح أن (الوي التوسير) قد استفاد في قراءته لـ(كارل ماركس)[44] من مفهوم القطيعة الذي استخدمه (باشلار) في دراسته للحقب المعرفية والثاني استمده (الوي التوسير) من علم اللغة البنيوي ؛ أي من الفكرة القائلة بـ: أن نسق العلاقات المعجمية هو جزء من مقدرتنا اللغوية ، ولما كانت هذه المقدرة اللغوية لأي قارئ تتبع من تجربته ومعرفته ، فإن بعض اللغويين البنيويين يقولون بوجود (القارئ الممتاز) ويرون فيه أداة للتحليل ووسيلة لإعادة قراءة النص ذلك لأن القارئ الممتاز قادر بخبرته على (النفاد في النص) والتقاط المواضع التي تتكشف عن أهمية خاصة)[45] وأتاحت خبرة (الوي التوسير) العميقة بالنصوص للقيام بدور القارئ المميز عندما فصل الجانب الإيديولوجي عن الجانب العلمي في فكر (كارل ماركس) وكشف نظريته في الاقتصاد التي استخلصها من كتابه (رأس المال). من خلال قراءته التشخيصية التي وصفها بالجديدة والمنتجة[45] .

ثانيًا : القراءة التفكيكية deconstruction :

قد يتبادر للذهن عند سماع كلمة (تفكيك) أنها تعني الهدم والتخريب والتشريح ، ولكن هذه الأفعال في حقيقة الأمر تتعلق بالأشياء المادية ، أما (جاك دريدا) فهو يتحدث على النصوص المكتوبة التي تختلف في سياقها وجنسها عما سبق ذكره ، فكلمة تفكيك في هذا المستوى لا تعني شيئًا أو هي لا شيء ، لأن أي كلمة في الفكر الفلسفي المعاصر لا تأخذ معناها إلا من السياق الذي ترد فيه إن كلمة تفكيك تكتسب دلالتها من سياقها ؛ أي مما أتى قبلها وبعدها من كلماتٍ ومعانٍ فكلمة تفكيك عند (جاك دريدا) :

(لا تستمد قيمتها إلا من اندراجها في سلسلة من البدائل الممكنة ، فيما يسمّيه البعض ببالغ الهدوء (سياقًا) . بالنسبة إليّ ، وكما حاولت ومازلت أحاول أن أكتب ، لا تتمتع هذه المفردة بقيمة إلا في سياق معيّن تحلّ فيه محل كلمات أخرى أو سمح لكلمات أخرى بأن تحددها : (الكتابة) مثلا ... ما الذي لا يكون التفكيك ؟ كل شيء ! ما التفكيك؟ لا شيء!)[46] تُعلِي القراءة التفكيكية من شأن القارئ ، وتنظر إلى العلاقة بين القارئ والنص على أنها علاقة وجود ، ففي القراءة وبالقراءة وحدها يكتسب النص أدبيته ، والقارئ موجود مع النص يتأمله ويفحصه ، وهو الذي بدوره يستطيع أن يحيي النص أو يميته ، فالقراءة التفكيكية تنظر للقارئ على أنه منتج للنص ، لا مجرد متلقٍّ سلبي خاضع لسلطة النص .

يؤكد (جاك دريدا) على أن القراءة التفكيكية ليست منهجًا وذلك من قوله: (التفكيكية ليست منهجًا و لا يمكن تحويلها إلى منهج خصوصًا إذا ما أكدنا في هذه المفردة على الدلالة الإجرائية أو التقنية)[47] إن القراءة التفكيكية قراءة استراتيجية تقرأ النصوص الفلسفية ، والأدبية ، والنقدية ، وذلك من خلال التموضع داخل النص وتقويضه من

الداخل ، إنها تعمل على تفجير النصوص ، لأن كل نص يحمل متناقضات أو بياضات ، فالدور الذي يقوم به القارئ التفكيكي إذن ليس البحث عن الانسجام ؛ بل البحث عن مبادئ غيـاب هذا الانسجام : (**أنا لا أتعامل والنص ، أي نص ، كمجموع متجانس ليس هناك من نص متجانس ، هناك في كل نص حتى في النصوص الميتافيزيقية الأكثر تقليدية قوى عمل هي في الوقت نفسه قُوى تفكيك للنص ، هناك دائمًا إمكانية لأن تجد في النص المدروس نفسه ما يساعد على استنطاقه وجعله يتفكك بنفسه**)[48] و ما يهم (جاك دريدا) في القراءات التي يحاول إقامتها ليس النقد من الخارج ، و إنما الاستقرار أو التموضع في البنية غير المتجانسة للنَّص ، و العثور على توتّرات ، أو تناقضات داخلية ، يقرأ النصُّ من خلالها نفسه ، ويفكك نفسه بنفسه . كمـا أن التفكيكية ليست:- (تحليلاً .. لأن التفكيك عناصر بنيةٍ لا يعني الرّجوع إلى العنصر البسيط ، إلى أصل غير قابل لأي حل . فهذه القيمة ، ومعها قيمة التحليل نفسها بالذات ، هي عناصر لفلسفات خاضعة للتفكيك وهي ليست نقدًا لا بالمعنى العام ، و لا بالمعنى (الكانتي) نسبة إلى (كانْت)[49-50] إن التفكيكية ليست تحليلاً يهتم بالرجوع إلى أبسط عنصر مكون للبنية ، وليست نقدًا بالمعنى الكانتي الذي يجعل منه محكمة تسائل منتجات العقل وتحاكمها و ينصب على مدى تطابق معاني العقل ومدركات الحس ، لأن التحليل والنقد موضوعات للتفكيك ، التفكيكية إذن عند (جاك دريدا) تعني : (فقدان الشيء بنيته)[51] عندما نكشف عن التناقضات التي يحبل بها، وعن الفراغات التي تملأ كيان النص . وللقراءة التفكيكية مقولات أساسية تقوم عليها وتنظم إستراتيجيتها في القراءة ، واستخدم هذه المقولات منظومة الفكر الاروبي عبر تاريخه الطويل ، فكانت هذه المنظومة رهينة ميتافيزيقا الحضور ، التي اهتمت بالفردية بدل التعددية ، والوحدة بدل الاختلاف ، والمباشرة بدل التأجيل ، فالقراءة التفكيكية بتأكيدها على الاختلاف بدل التشابه والتعدد وإلغاء الحضور ، تهدف إلى تقويض نماذج الحضور التي تستند عليها الحضارة الغربية ، وتَعِدُ بمصادرتها و إعادة بنائها من جديد، وهذا ما يسمح بظهور بدائل حضارية وفكرية وفلسفية تتغاير في نظمها وأهدافها عما أرسته الميتافيزيقا الغربية . **وأبرز هذه المقولات هي :**

أولاً : مقولة الاختلاف :

تُعد هذه المقولة من إحدى المرتكزات الأساسية للتفكيكية ، وهي تدل على المغايرة وعدم التشابه ، ويتحقق المعنى عند (جاك دريدا) من خلال الاختلاف المـــتواصل في عمليتي الكتابة والقراءة ، ويقوم الاختلاف بتقويض الحضور الذاتي ، وهذا يـــؤدي إلى أنّ ثمة بنـــاء وهدم متواصلان بحثًا عن المعنى ، إن : (الاختلاف هو عمل الكلام الداخلي ، فالكلام المنطوق يتشكل بالاختلاف المستمر بين الكلمة المنطوقة التي تتجزأ

عادة إلى دالّ صوتي ومدلول مفهومي وبين سلسلة المفردات التي تنظمها سلسلة الحديث وذلك إلى ما لانهاية جريًا وراء ما يذهب إليه (فرديناند دي سوسير)[52] من أن النظام الذاتي للكلام ينهض على حشد وحدات المعنى)[53] نلاحظ أن الاختلاف هو عمل الكلام الداخلي ، الذي يعني البحث بين السطور عما هو مخفي ، أو مسكوت عنه ، أو غير مفكر فيه ، والذي يعطي مجالاً واسعًا للاختلاف بالإضافة إلى أن معنى اللفظ لا يتحدد إلا من خلال السياق وسلسلة الكلمات والعبارات التي ينتظم فيها ، وبذلك يتحقق ما رمى إليه (الوي التوسير) من أن الكلام يستدعي معاني لا حصر لها فكل : (الدول تنتج بواسطة الاختلاف الداخلي للنظام وتحمل داخلها أثر الدول الأخرى الذي تتضمنه تلك الدول)[54] فللاختلاف عند (جاك دريدا) فعالية حرة غير مقيدة وهو مصطلح قائم على تعارض الدلالات ، والهدف هو تحطيم المرتكز الفكري لثنائيات كثيرة في الفكر الأوروبي مثل : **الروح /الجسد ، الشكل / المعنى** ، وذلك لقلب التصور الذهني الذي أرسته الفلسفة الغربية، واحل بدل ذلك مفاهيم ومقولات مثل مقولة (الاختلاف) .

ثانيًا : مقولة التمركز حول العقل .

لا تقل هذه المقولة في أهميتها عن سابقتها ، فقد عمل (جاك دريدا) على هدم هذه المركزية والثورة على سكونيتها باعتبارها تمثل حضورًا لا متناهيًا في الفكر الغربي ، هدفه معالجة نظم المقولات المُعتمدة على الحضور . ويدعو (جاك دريدا) إلى ضرورة التفكير بعدم وجود مركز ، وبغياب المركز وتقويضه ، يتحول كل شيء إلى خطاب وتذوب الدلالة المركزية ، بحيث ينفتح الخطاب على أفق المستقبل ، دونما ضوابط مسبقة ، وتتحول قوة الحضور ، بفعل نظام الاختلاف ؛ إلى غياب الدلالة المتعالية وإلى تخصيب للدلالة المحتملة .

ويخلص (جاك دريدا) إلى أن أحد أكثر السبل تأثيرًا التي نهض عليها (التمركز حول العقل) في الفلسفة الأوروبية ، هو اهتمامها بالكلام على حساب الكتابة ، وما يشتغل عليه (جاك دريدا) ليس فقط فك الإشكال المستعصي ، القائم بين الكلام والكتابة في الخطاب الفلسفي فحسب ، بل مطالبته بضرورة قلب التمركز المنطقي والعقلي في الفلسفة ، وهذا ما يجعل الخطابات: (**تنضح بالدلالات ، وتغطس في بحر التجدّد ، دون التعثر ببؤر التمركز التي تفرض سطوتها وفق المنظور التقليدي**)[55] فبمحو المركزية تتحول النظم الفلسفية ومراكزها إلى خطابات فكرية تعني الجميع في كل مكان وزمان .

بَحثَ (جاك دريدا) في التراكم الهائل للميتافيزيقا الغربية ، فبعد أن قام بتجزئة الألفاظ والفرضيات الأساسية فيها ، والكشف عن الأبنية والحجج المتناقضة التي تنطوي عليها هذه الألفاظ والفرضيات ، انتقل إلى صلب موضوعه ألا وهو تفكيك النظم العامة

للفكر الغربي بداية بـ(أفلاطون) وصولاً إلى معاصريه من (الفينومينولوجيين) . ترتكز استراتيجية عمل (جاك دريدا) على تفكيك الفلسفة الغربية القائمة على التموضع داخل النظم ، و توجيه ضربات متتالية لها من الداخل لتُفصَحُ عن تناقضها الجواني .

ثالثًا : مقولة الكتابة . علم (الغراموتولوجيا) :

يقلب (جاك دريدا) موازين الماضي التي تجعل من الكلام نقطة التمركز وعليه أصبحت الكتابة عنده ، هي نقطة التمركز . وهي سبب القراءة ولولا وجود المكتوب ما أمكننا إحداث فعل القراءة كتابة ، وأصبح الكلام عنده يعني الغياب ، و الكتابة تعني الحضور الذي لا ينتهي بغياب المؤلف ، إن النص المكتوب حاضر يُقرأ من قبل قُراء كثيرين في أزمنة مختلفة وينتج قراءة نصوص كثيرة محايثة أو مغايرة أو ناقدة له[56]. كما أن الكتابة من منظور (جاك دريدا) (ليست وعاء لشحن وحدات معدة سلفا ، إنما هي صيغة لإنتاج هذه الوحدات وابتكارها ، وبهذا يكون لدينا نوعين من الكتابة الأول : كتابة تتكئ على (التمركز حول العقل) وهي التي تسمى الكلمة كأداة صوتية أبجدية خطية وهدفها توصيل الكلمة المنطوقة . والنوع الثاني : الكتابة المعتمدة على (النحوية) أو كتابة ما بعد البنيوية وهي ما تؤسس العملية الأولية التي تنتج اللغة)[57] تعني الكتابة عدمية الصوت وبها تتولد الكينونة، خاصة مع ولوج لغة (الاختلاف) وانبثاق الصمت وانفجار السكون . بذلك حشد (دريدا) إمكاناته لتنظيم الكتابة معطيا للكتابة دورا خلاقا .

رابعًا : مقولة القراءة :

نقد (جاك دريدا) القراءات التقليدية السابقة ، وقرأ النصوص بعد تحرره من المسبقات ، هدفه التموضع في البنية غير المتجانسة للنص ، والخروج إلى سطحها ساعة يشاء ، وحرية الانتقال بين داخل النص وخارجه ، تمده بنظرة محورية للأثر نفسِهِ ، ولهذا يحدد (جاك دريدا) أفق قراءته قائلاً : ((**أعتقد من غير الممكن الانحباس داخل النص الأدبي ، إن المحايثة أو الباطنية الأدبية تقوم في نظري على الاحتماء داخل الحدود المقامة تاريخيًا ، والتي تفترض مجموعًا كاملاً من العقود التاريخية المتعلقة بتأطير النص ، وتحديد وحدته ومتنه ، ويجب بالطبع و بصورة مؤقتة على الأقل أن نتحرك داخل هذه الحدود ، لدفع القراءات المحايثة إلى أبعد ما يمكن**))[58] .

نستخلص مما سبق أن هدف التفكيك ، هو تقويض بنية النص مهما كان جنسه ونوعه، والكشف عن تناقضاته ، وتفحص ما تُخفيه تلك البنية من شبكة دلالية ، فلا شيء يسلم من التفكيك حتى التفكيك نفسه ، والنص عند (جاك دريدا) ينتج باستمرار بفعل القراءات ولا يتوقف بموت مؤلفه ، ولهذا يدعو إلى الكتابة بدل الكلام ؛ لانطواء الكتابة على صيرورة البقاء بغياب المنتج الأول ، وهذا يتعذر بالنسبة للكلام .

ثالثًا : نظرية التأويل والتلقي (The approach interpretation and receiving)

تبنت نظرية التأويل والتلقي أطروحة جديدة للقراءة ، هذه الأطروحة تختلف عما جاءت به القراءتان البنيوية والتفكيكية ، حيث استفادت (نظرية التأويل والتلقي) من العناصر الايجابية في القراءتين السابقتين و إدماجها في نظرية قراءة شمولية ، تنصف كل عناصر التواصل (المؤلف والنص والقارئ) ، وكل هذه العناصر تلتقي وتندرج في نموذج واحد هو نموذج جمالية التجاوب .

ترى هذه النظرية أن المعنى لا يتحقق إلا بالتفاعل بين القارئ و النص ، وبهذا تختلف هذه النظرية عن التأويل التقليدي [59] الذي يبحث عن المعنى الخفي للنص ، فـ(هانز روبرت ياوس) عمِل على تطوير مقاربة متكاملة لنظرية التأويل والتلقي ، أسسها على أن النص هو الذي يمدنا بالمؤثر المعين ، إلا أن القارئ هو الذي يقوم باستكمال العملية، وبذلك تصبح عملية القراءة ذاتها شكلاً من أشكال الأخذ والعطاء وحوارًا بين القارئ والنص[60] .

الخـاتـمـة

نستخلص مما سبق أن القراءة البنيوية صبت جُلَّ اهتمامها على النص ، و أهملت جميع ما يحيط به من عوامل اجتماعية و اقتصادية و سياسية وثقافية و غيرها ، وجعلت القارئ يتعامل مع النص على أنه بناء منغلق على ذاته . وأعطته سلطة مطلقة والقراءة التفكيكية اهتمت بالقارئ ، وكيفية تعامله مع النص ، و هي مثل سابقتها أعطت سلطة للقارئ ، وهذا مأخذ يؤخذ على التفكيكية في كونها ركزت على النص وقارئه وأهملت مؤلفه، فـ (موضوع التفكيكية هو النص ومعاينة عملية إنتاجه وليس معاينة التجربة الخاصة بالمؤلف الفرد) أما نظرية التأويل والتلقي ، فقد عملت على إعادة النظر في العناصر المكونة للنص وهي المؤلف والنص والقارئ ، و لم تخلُ الساحة العربية من عدوى قراءة النص ، وذلك بحكم عملية المثاقفة ، التي بدأت مع السبعينيات من القرن العشرين : فلقد استفاد بعض الباحثين العرب من القراءة البنيوية ، ومن هؤلاء (سعيد يقطين) في كتابه (تحليل الخطاب الروائي) و (عبدالسلام المسدي) في اختياره الأسلوبية منهجًا في العديد من تجاربه ، و (محمد عابد الجابري) في تشخيصه للعقل العربي بمنهج دمج فيه المعالجة البنيوية والطرح الإيديولوجي والتحليل التاريخي ، بالإضافة إلى عدد من القراءات مثل التشخيصية والتفكيكية . أما القراءات ذات المنحى التفكيكي في الفكر العربي المعاصر ، فنذكر منها قراءة (ادونيس) و قراءة (عبدالله الغذَّامي) في كتابه الخطيئة والتكفير والذي خصص فيه مدخلاً منهجيًا ، يعرض فيه المنهج البنيوي والسيمولوجيا والاتجاه التشريحي ويشير (عبدالله الغذَّامي) إلى أن القراءة التشريحية التي يسترشد بها في قراءته تختلف

عن القراءة التفكيكية عند (جاك دريدا) بقوله : ((هذه تشريحية تختلف عن تشريحية دريدا))[61] فتشريحية (جاك دريدا) قائمة على تقويض أو نقد العمل المدروس من خلال نصوصه و إعادة بنائه ، وكذلك تشريحية (عبدالله الغذَّامي) المائلة إلى نهج (رولان بارت) فهي تعمل على تشريح النص لا لنقضه ولكن لبنائه . و من المفكرين العرب المتأثرين بالقراءة التفكيكيـة للنص أيضًا المفكر اللبناني(علي حرب) الذي نظر للنص على أنه فضاء تأويلي مفتوح و ألغى سلطة النص، وأعلى من سلطة القارئ .

الهـوامـش

1 - ابن منظور . لسان العرب . ط3 ، المجلد الأول ، دار صادر ، بيروت ، 1994 ، ص 128 ، 129 .

2 - شحاته (حسن) . القراءة . ط1، مؤسسة الخليج العربي ، بيروت ، 1984 ، ص44 – 48 .

3 - المرجع السابق . ص 51 .

4 - المرجع السابق . ص53 .

5 - أندريه لالاند . موسوعة لالاند الفلسفية . ترجمة خليل احمد خليل . ط1 ، منشورات عويدات ، بيروت ، 1996 ، المجلد الثاني . ص 803 .

6 - (Wahba) Magdi . A Dicrionary 0E Itinerary Terms . (Library of Lebanon . Beirut ،1974 p465 . 1

7 - Ta Grande Encyclopedic (candy ،Library Larousse ، 1974،p7020).

8 - حجاب (محمد منير) . الموسوعة الإعلامية . ط1 ، المجلد الخامس ، دار الفجر للنشر القاهرة ، 2003 ص 1910 .

9 - الشفرة هي عبارة عن نسق من العلامات يتحكم في إنتاج رسائل يتحدد مدلولها بالرجوع إلى النسق نفسه ، وإذا كان إنتاج الرسالة هي نوع من (التشفير) فإن تلقي هذه الرسالة وتحويلها إلى المدلول هو نوع من (فك الشفرة) عن طريق العودة بالرسالة إلى إطارها المرجعي في النسق الأساسي . ينظر : كرزويل (إديث) . عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو . ترجمة . جابر عصفور . ط2 ، الدار البيضاء المغرب ، 1986 ، ص 266 .

10 - المرجع السابق . ص 285 .

11 - ولد تودوروف عام 1939 ، في بلغاريا ، ودرس فيها الأدب البلغاري ، ثم هاجر إلى فرنسا سنة 1963 وحصل على الجنسيـة الفرنسية ، وهو باحث في المركز القومي للبحوث العلمية بباريس ، ويدرس (الخطابة والرمزية) بالمدرسة العليا للدراسات التطبيقية بباريس ، من أهم كتاباته (نظرية الأدب) . ينظر : المسدي (عبدالسلام) . الأسلوبية والأسلوب . ط2 ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس 1982 ، ص244

12 - الدغمومي (محمد) . نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر . ط1 ، منشورات كلية الآداب ، الرباط ، 1999 ، ص 270 .

13 - التأويل تفسير ما في نصٍّ ما من غموض بحيث يبدو واضحًا جليًا ذا دلالة يُدركها الناس .ينظر : مجدي وهبة و كامل المهندس . معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب . ط2 ، مكتبة لبنان ، بيروت 1984 ، 86 .

14 - الغذَّامي (عبدالله محمد) . الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية . ط1 ، النادي الأدبي الثقافي ، السعودية ، 1985 ، ص 75 .

15 - المرجع السابق . ص 76 .

16 - السياق هو تسلسل أفكار يتّسم بها نصٌ ما ؛ وبنحو خاص ، مجمل النّص الذي يحيط بعبارة مستشهد بها ، والذي تتوقف عليه الدلالة الحقيقية لهذه العبارة .ينظر : موسوعة لالاند الفلسفية . أندريه لالاند . ترجمة . خليل أحمد خليل . مرجع سابق ، المجلد الأول ، ص219.

17 - الغذّامي (عبدالله محمد) . الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية . مرجع سابق . ص76 .

18 - الوي التوسير (1921 – 1990) فيلسوف فرنسي ، يأخذ على عاتقه تكوين فلسفة ماركسية بمعنى الكلمة ، ذلك أنه يفترض أن مؤسسي الماركسية مازادا على أن أقاما أحجار زاوية ؛ ولئن وضعا نظرية علمية في التاريخ ، فإنهما لم يرسما بالمقابل إلا المعالم الأولية للمادية الجدلية ، ويسعى (الوي التوسير) إلى البرهان على أ ن مؤلفات ماركس الشاب لم تكن ماركسية بعد ، وأن أثر (هيجل) ثم (فيورباخ) غالب عليها ، ومن مؤلفاته (التوسير) مع ماركس وقراءة راس المال . والهدف الذي رمى إليه من وراء هذين المصدرين تجديد تأويل الماركسية .ينظر : – معجم الفلاسفة . جورج طرابيشي . ط2 ، دار الطليعة ، بيروت ، 1997 ، ص 88

19 - الدغمومي (محمد) . نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر . مرجع سابق . ص269 .

20 - حنفي (حسن) حصار الزمن . ط1 ، مركز الكتاب للنشر ، القاهرة ، 2004 ، ص 69 .

21 - سيزا قاسم . القارئ والنص : (من السيميوطيقا إلى الهرمينوطيقا) . مجلة عالم الفكر، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ، العددان الثالث والرابع ، المجلد الثالث والعشرون ، المجلد الثاني ، الكويت ، 1995 ، ص 254 .

22 – السيميوطيقا/ السيميولوجيا (علم العلامات) ، يرجع هذا المصطلح إلى (دي سوسير) الذي قال من الممكن تصور قيام علم يدرس حياة العلامات داخل المجتمع ، ويغدو جزءا من علم النفس الاجتماعي ومن ثم علم النفس العام . و سأسمي هذا العلم باسم السيميولوجيا ، ويكشف هذا العلم عما يكون العلامات والقوانين التي تحكمها . أما مصطلح السيميوطيقا فيرجع إلى (تشارلز بيرس) الذي قال (ليس المنطق بأوسع معانيه ... سوى مجرد اسم آخر السيميوطيقا أو نظرية العلامات) .

ينظر : كرزويل (إديث) . عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو . ترجمة . جابر عصفور . مرجع سابق ، ص287 .

23 - الغذّامي (عبدالله) . الخطيئة والتكفير . مرجع سابق . ص 80 .

24 - حسن سحلول . مشكلة القراءة والتأويل في النص الأدبي . مجلة المعرفة ، مجلة ثقافية شهرية تصدرها وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، العدد384 ، 1995 ، ص 180.

25 - المرجع السابق . ص 181 .

26 - المرجع السابق . الصفحة نفسها .

27 - الخطاب وهو عبارة عن تعبير عن الفكر وتطوير له ، بسلسلة كلمات أو عبارات متسلسلة ، ويعطي لنا (ميشيل فوكو) أنواع للخطاب ، فهناك الخطابات التي تقال يوميًا وتتداول وينتهي أمرها بانتهاء الفعل ذاته التي نطق بها ، وهناك الخطابات التي هي أصل لعدد من ضروب الفعل الجديدة للكلام حيث يعيد تناولها وتحليلها أو الحديث عنها . ينظر : أندريه لالاند . موسوعة لالاند الفلسفية . ترجمة . خليل أحمد خليل . مرجع سابق، المجلد الأول . ص 287 .

28 - حسن سحلول . مشكلة القراءة والتأويل في النص الأدبي . مجلة المعرفة ، مرجع سابق، العدد 384 ، ص 183 .

29 - المرجع السابق . ص 184 .

30 - المنهج الظاهراتي هو وصف يحيط بالأشياء ويكتشفه ، بل ويخلقه بالحدس الذي يتركز عليه ،

ويتجاوز به صاحبه هذه الصفات العارضة إلى ماهيته الثانية ، وهو ما يسميه (هوسرل) وضع هذه الصفات بين قوسين و استبعادها من التأمل ، والانصراف بالوعي ، عن قصد ، إلى الماهية الخالصة . ينظر : عبد المنعم الحفني . الموسوعة الفلسفية . (د . ط) دار المعارف ، تونس ، 1992 ، ص 293 .

31 - المنهج الحفري أو الأركيولوجي هو منهج لـ(ميشيل فوكو) سنتحدث عنه بتفصيل أكثر في الصفحات التالية .

32 - منهج تحليل الخطاب : منهج في البحث في أي مادة مشكلة من عناصر متميزة ومترابطة في امتداد طولي سواء أكانت لغة أم شيئًا شبيهًا باللغة ومشتملة على أكثر من جملة أولية ؛ أو لنقل إنها بنية شاملة تشخص الخطاب في جملته أو أجزاء كبيرة منه . ينظر : مكدونيل (ديان) . مقدمة في نظرية الخطاب . ترجمة . عزالدين إسماعيل . ط1 ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ، 2001 ، ص 30 .

33 - منهج تحليل المضمون: يُطلق على مجموعة من الأدوات المنهجية التي تتسم بالدقة وتخضع لتحسين مستمر ، وهو يطبق على كل أنواع الخطاب بقصد الوصول إلى فهم مضمونه ، والقاسم المشترك بين أنواع تحليل المضمون هو سعيها جميعًا إلى فك وتحليل ما هو غامض ومبهم بكيفية يصبح فيها أمرًا واضحًا . ينظر : اوزي (أحمد) . تحليل المضمون ومنهجية البحث . (د . ط) ، الشركة المغربية للطباعة والنشر ، الرباط ، 1993 . ص 14 .

34 - ومن بين تلك المناهج المنهج التاريخي التي سيطر فيه المؤلف فترة من الزمن على الساحة النقدية ، والذي اهتم بدراسة ما قبل النص وما بعده ؛ أي العوامل المؤثرة في النص ، واعتبر النص وثيقة تاريخية تدل ،على زمن كاتبه ونفسيته . والمنهج الجدلي التاريخي الذي ارتكز على القضية ونقيضها ثم المركب بينهما ، واهتم بدراسة تطور الوعي والعقل ، لأن تاريخ الإنسان هو تاريخ عقله ، فالعقل هو سيد العالم ، وهو الذي يجب أن يحكم العالم ، واكتملت صورته في عهد (هيجل) في شكل الدولة . أما المنهج المادي الجدلي ظهر مع (ماركس) ، وثار على المنهج التاريخي الكلاسيكي والهيجلي ، فهو منهج قائم على معطيات مادية ؛ أي يرتكز على العوامل المادية والاقتصادية والاجتماعية .

35 - بياجيه (جان) . البنيوية . ترجمة . عارف منيمنة وبشير أوبري . ط1 ، منشورات عويدات ، بيروت 1993 ، ص 179 ، 180 .

36 - ولد كلود ليفي شتراوس عام 1908 ، عمل في جامعة ساوبولو بالبرازيل ، حيث درس السوسيولوجيا ، وانتقل إلى أمريكا ، عُين أستاذًا بالمدرسة الجديدة للبحث الاجتماعي ، وانُتخب سنة 1959 في كوليج فرنسا (كرسي الانتربولوجيا المجتمعية ، وتم في سنة 1973 انتخابه بالأكاديمية الفرنسية ، من مؤلفاته : (الحياة العائلية) (عند هنود نامبيكورا) وكتابه (البنيات الأولية للقرابة) ، وكتابه (الانتربولوجيا البنيوية) الذي هو عبارة عن مجموعة مقالات في القرابة والعلاقة بين اللسانيات والانتربولوجيا . ينظر : وعزيز (الطاهر) . بنيوية كلود ليفي شتراوس . دار الكلام ، الرباط ، (د.ت) ، ص 8 - 9 .

37 - إبراهيم (زكريا) . مشكلة البنية . ط3 ، دار مصر ، القاهرة ، 1967 ، ص 77 ، 78

38 - الأبستيم أو (الوحدة المعرفية مصطلح ابتدعه (ميشيل فوكو) ، ليدل به على الوحدات الأساسية التي يتشكل من التقائها نسق للمعرفة ، وينطوي مفهوم المصطلح على تسليم مؤداه إن الشحنة الدلالية التي تتضمنها الوحدات المعرفية تظل في حالة تغير مع تقدم المعرفة ، وعلى نحو يولد أبنية معرفية جديدة . ويعرف (ميشيل فوكو) الابستيم بقوله ((هو الأرضية التي تقوم عليها معرفة عصر معين ، ومجاله المرئي والمرتكز الثابت الذي يوّزع خطاباته . أي الفضاء

الذي تنتشر فيه موضوعاته ، وقانون تواتر مفاهيمه ونظام توزّع مشاكله وقاعدة توزع أساليبه أي فرض من الاكراهات المغلقة وغير المتحدّدة الملامح : التي تسم من قبل موطن كل خطاب)) .ينظر : فوكو (ميشيل) . نظام الخطاب . ترجمة :محمد سبيلا . دار التنوير للنشر والتوزيع ، بيروت ، 2007 ، ص61 . كرزويل (إديث) . عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو . ترجمة . جابر عصفور . مرجع سابق ص 272 .

39 - لوسيان غولدمان ولد في بوخارست (رومانيا) عام 1913 وتوفي عام 1970 في باريس ، درس القانون والاقتصاد السياسي ، وأقام فترة من الزمن في (فيينا) ، واستقر بعد ذلك في باريس ، وعمل مع عالم النفس (جان بياجيه) في (جنيف) مدة سنتين ، كما كان (غولدمان) تلميذًا(لجورج لوكاتش) ، وهـو من أدخل إلى(فرنسا) فكر الفيلسوف المجري وتخصص في علم اجتماع الأدب والفلسفة ، وانطلق من المادية الجدلية لينتقد الحتمية الاجتماعية كما تمثلت في أعمال (اميل دروكايم) و (فيبر) وليطالب بتجاوز الرؤى الجزئية للواقع ، بما فيها الرؤية الطبقية ، رائيا في كبار الكتاب والفنانين والفلاسفة ممثلين لا لوعي طبقي بل للحد الأقصى من الوعي الممكن لطبقة بعينها ، وقد أطلق على مذهبه في علم اجتماع الثقافة اسم (البنيوية التكوينية) . من أهم مؤلفاته : (العلوم الإنسانية والفلسفة) ، و(مباحث جدلية) ، و(الماركسية والعلوم الإنسانية). ينظر : معجم الفلاسفة . جورج طرابيشي . مرجع سابق . ص442 .

40 - عصفور (جابر) . نظريات معاصرة . ط1 ، دار المدى ، سوريا ، 1998 ، ص 113 ، 114 .

41 - ميشيل فوكو مفكر فرنسي (1926 – 1984) يلح بعد (غاستون باشلار) على القطعيات التي تضبط إيقاع تاريخ الأفكار ، على الانقطاعات التي تقلب رأسا على عقب الإدراك والممارسة البشريين . وعلى هذا النحو يهيئنا لاحتمال زوال قريب لبنية المعرفة الحالية التي تحمل منذ نحو 150 عامًا العلوم المعروفة بالعلوم الإنسانية و بالتالي لاحتمال امحاء الإنسان نفسه (الذي سيتلاشى حال اهتدائه إلى شكل جديد) . وبدلاً من أن نرى في فكر (فوكو) مذهبًا استفزازيًا مضادًا للإنسان كما رأى بعض من نقده ، ويحسن بنا أن نرى فيه واحدة من المحاولات الأولى لتعليل أحداث التاريخ الكبرى . من مؤلفاته : تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي واركيولوجيا المعرفة . ينظر : معجم الفلاسفة . جورج طرابيشي . مرجع سابق . ص 469 .

42 - فوكو (ميشيل) . نظام الخطاب وإرادة المعرفة . ترجمة . أحمد السطاتي وعبدالسلام بن عبدالعالي (د . ط) ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، 1985 ، ص9 .

43 - غاستون باشلار فيلسوف فرنسي (1884 – 1962) ، درَّس لسنوات الفيزياء والكيمياء ، وحاول إدخال المفاهيم الجديدة للكيمياء إلى قلب فلسفة العلوم الموسعة ، التي عمل على إرساء أسسها في التعددية المتلاحمة للكيمياء الحديثة ، طرق مضمارًا جديدًا تمامًا وهو التحليل الفلسفي للآثار الأدبية ، وذلك في كتابه (حدس اللحظة) ، وإلى جانب هذا المؤلف أصدر مؤلفاً آخر في فلسفة العلوم بعنوان (تكوين الروح العلمي) مساهمة في التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية ، وهي دراسة منهجية لبعض المفاهيم التي باتت اليوم في حكم البالية وان تكن علوم القرنين السابع والثامن عشر قد عاشت عليها .

44 - معجم الفلاسفة . جورج طرابيشي . مرجع سابق . ص 143 .

45 - كرزويل (إديث) . عصر البنيوية . ترجمة . جابر عصفور . مرجع سابق . ص 49 .

46 - كارل ماركس (1818 – 1883) عالم اقتصاد وفيلسوف اجتماعي الماني ، نشر مع صديقه فريدريك أنجلز (البيان الشيوعي) عام 1848 ، أُبعد عن المانيا وفرنسا فاتجه إلى لندن ، عام 1849 ، حيث انكبَّ على الدرس في المتحف البريطاني . أشهر آثاره : (رأس المال) في ثلاثة مجلدات . ينظر : البعلبكي (منير) . معجم اعلام المورد . ط1 ، دار العلم

للملايين ، بيروت ، 1992 ، ص405 .

47 - كرزويل (إديث) . عصر البنيوية . ترجمة . جابر عصفور . مرجع سابق . الصفحة نفسها .

48 - ولكن (الوي التوسير) في مرحلة متأخرة من تفكيره تخلى عن مفهوم القطيعة ، اذ لا يصح الحديث عن اخطاء في الفلسفة ، ولا عن قطيعات ابستيمولوجية ، لإن ذلك لا يحدث إلا في ميدان العلوم ، والفلسفة عبارة عن ميدان لصراع دائم بين الاتجاهات الرئيسية ، تخلى عن مرحلة التنظير التي كانت مهيمنة على تفكيره والتي اهملت دور الصراع الاجتماعي والسياسي وتأثيرها وانعكاساتها على الفعاليات الفكرية وتبني مجموعة من المفاهيم ذات طابع عسكري مثل : جبهات القتال ، التقدم ، التقهقر ...

49 - دريدا (جاك) . الكتابة والاختلاف . ترجمة . كاظم جهاد . ط2 ، دار توبقال ، المغرب ، 2000 ، ص 62 ، 63.

50 - المرجع السابق . ص 16 .

51 - المرجع السابق . ص 49 .

52 - عمانويل كانْت (1724 - 1804) ، فيلسوف الماني ، مؤسس المثالية النقدية أو المتعالية، ومن أهم مؤلفاته : (نقد العقل الخالص) و (نقد العقل العملي) ، ثم (نقد ملكة الحكم) ، وفي هذه الكتب يعرض (كانت) النظرية النقدية في المعرفة والأخلاق وعلم الجمال ، وقد برهن في أعماله على استحالة بناء مذهب من الفلسفة التأملية دون دراسة تمهيدية لأشكال المعرفة وحدود قدرات الإنسان المعرفية . ينظر : وضع لجنة من العلماء و الأكاديميين السوفيتيين . الموسوعة الفلسفية .. ترجمة . سمير كرم . ط7 . دار الطليعة ، بيروت ، 1997 ، ص 387 .

53 - دريدا (جاك) . الكتابة والاختلاف . ترجمة . كاظم جهاد . مرجع سابق . ص 60 .

54 - المرجع السابق . ص 60 .

55 - فرديناند دي سوسير (1857 - 1913) عالم لغوي سويسري . عدّه كثيرٌ من الباحثين مؤسس علم اللغة الحديث. عُني بدراسة اللغات الهندية الأوروبية ، وقال بأن اللغة يجب أن تعتبر ظاهرة اجتماعية . اشهر آثاره : (بحث في الالسنية العامة) . وقد نشر عام 1916، أي بعد وفاته . ينظر : البعلبكي (منير) . معجم أعلام المورد . مرجع سابق . ص245 .

56 - إبراهيم (عبدالله) وآخرون . معرفة الآخر . مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1990 ، ص 121 .

57 - بارت (رولان) و آخرون . نظريات القراءة (من البنيوية إلى جمالية التلقي) . ترجمة . عبدالرحمن علي . ط1 ، دار الجسور ، جده ، 1995 ، ص 50 .

58 - إبراهيم (عبدالله) وآخرون . معرفة الآخر . مرجع سابق . ص126 .

59 - المرجع السابق . ص 126 ، 127 .

60 - المرجع السابق . ص 132.

61 - دريدا (جاك) . الكتابة و الاختلاف . ترجمة . كاظم جهاد . مرجع سابق . ص 51 .

62 - إن مسار تأويل الخطاب وتلقيه لا يمكن فصله عن مسار تأويل مجالات أخرى من النتاج الفكري ، كالنص الفلسفي والنص الديني ، فطرائق تأويلها وتلقيها متبادلة ، فهناك مرحلة كانت في الواقع ضد التأويل ، وهذه المرحلة سادت فيها القصدية ، وكل ما له علاقة بسلطة الكلام الفردي أو بالفكر المطلق ، إما أن ترفض التأويل أو أن توقفه في نقطة لا يجوز تخطيها ، وهناك مرحلة موضوعية ، وهذه المرحلة تهمل الذات والمقصدية وعلى أثر ذلك يهمل (التأويل) لصالح المحايثة وإدراك القوانين . وهذه الموضوعية أما أن تكون متعلقة بالنص ، أو بالنص ذاته ، لكن في إطار سياقه التاريخي ، والاجتماعي . **والمرحلة الثالثة** إعادة الاعتبار لقضية التأويل من خلال الاهتمام

بالمؤول ، ذلك أنه في **المرحلة الأولى** كانت سلطة صاحب النص شبه مطلقة ، **وفي الثانية** تم تهميشه ، ولم يلتفت إلى المؤول لصالح موضوعية حرفية ، ولكن في المرحلة الثالثة أعطى الاعتبار للقارئ و لتأويلاته . هذه المراحل ليست مترابطة قد تعايشت أحيانًا في لحظة واحدة ولكن كان هناك غلبة لإحداها على الأُخريين ، وفي الوقت الحالي نجد اتجاهًا حاسمًا نحو غلبة التأويل ، أي نحو الحضور الأكبر للقارئ دون أن يحصل الغياب الكلي للنص ، و للمؤلف . ينظر : حميد الحمداني . الخطاب الأدبي : التأويل والتلقي . من كتاب قضايا التلقي والتأويل سلسلة ندوات ومناظرات رقم (36) ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، ط1، 1995، ص 9 ، 10 .

63 - مبروكه الشريف جبريل . النص والقراءة من البنيوية إلى التفكيكية . مجلة جامعة سبها (العلوم الإنسانية) . المجلد الأول ، العدد الثاني ، 2002 ، ص 20 .

64 - بيلسي (كاترين) . الممارسة النقدية . ترجمة . سعيد الغانمي . ط1 ، دار المدى ، سوريا ، 2001 ، ص 138 .

65 - الغذَّامي (عبدالله محمد) . الخطيئة والتكفير . مرجع سابق . ص 86